المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية المجلد13 (1)
العدد 18 جوان 2022

دورعامل التغيير النفسي في عملية البناء الحضاري عند مالك بن نبي

Role of the Psychological Change Factor in the Building of Civilization of Malek Ben Nabi

أ.د: محمد مجدان.(*)

تاريخ الاستلام: 2022/01/21 تاريخ القبول: 2022/06/24 تاريخ النشر: 30/ 2022/06

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوعا ذا أهمية كبيرة جدا، وهو تحليل عامل التغيير النفسي عند المفكر القدير مالك بن نبي، وأثر هذا العامل في عملية بناء الحضارة. وستحاول الدراسة إسقاط ذلك على واقع المسلمين اليوم وفي المستقبل كذلك.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من أنها تتناول تحليل عامل لعب دورا هاما في واقع المسلمين في الماضي، عندما شيدوا حضارة راقية، ومازال قادرا على فعل ذلك في حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها.

وبالتالي تنتهي الدراسة إلى نتيجة مؤداها أن واقع المسلمين وحالهم اليوم المتسم بالإنحطاط والتخلف في جميع المجالات،

Abstract:

This study is analysing an important subject related to the thought of the great scholar (Malek Ben Nabi), about the role of the psychological change factor in building of civilisation.

The study is also trying to apply this on the state of the Muslim world today & in the Future as well.

The importance of this study is arising from the role that the factor of psychological change played in the past, when the Muslim umma (community) achieved a great civilisation status, & this factor is still able to play the same role in the present & the future of the Islamic world.

As a result, the study

(*)– كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3

لا يمكن أن يتغير إلا بتغيير ما بأنفسهم.

الكلمات المفتاحية: عامل التغيير النفسي، البناء الحضاري، الفكرة الدينية، مستقبل العالم الإسلامي، فكر مالك بن نبي

concludes that the Islamic world's bad situation, which is characterized by the backwardness, the underdevelopment & the decline, cannot be changed, unless there is a self-change by the Muslims themselves.

Keywords: Factor of Psychological Change, Civilization Building, Religious Idea, Future of the Islamic World, Malek Ben Nabi's Thought

مقدمة:

سيتم في هذا المقال تناول نظرية مالك بن نبي في دور عامل التغيير النفسي في عملية البناء الحضاري، وهذا من خلال اهتمامه بموضوع الحضارة وتركيزه على شروط التحضر، وكشفه لأسباب التخلف والانحطاط وسقوط الحضارة الإسلامية، وذلك بتقديمه نظرية متميزة في الحضارة وفي البناء الحضاري. فهو يرى أن هذه العملية تعود إلى تغيير الأنفس، وهذا الشرط هو ما أشار إليه القرآن الكريم، الذي جعل من تغيير الأنفس هو أساس كل تغيير اجتماعي. وهذا التغيير الذي يبني الحضارة يبدأ حسب مالك بن نبي، عندما تدخل فكرة دينية في التاريخ، لتحرك الإنسان من أجل التغيير.

إن بناء الحضارة يتطلب إذن تغيير في الأنفس وفي الأفكار والاشياء، وهذا لا يكون إلا بمجهودات من إنسان يعيش التغيير في نفسه، فيغير من أخلاقه وسلوكه، كما يغير محيطه الاجتماعي والطبيعي. وهذا التغيير يمثل فاعلية إنسانية هادفة تنقل الإنسان والمجتمع من حالة الانحطاط إلى حالة التحضر.

في سنة 2015، ألفت كتابا بعنوان: **مكانة الحضارة الإسلامية عالميا**، ومن النقاط التي تمت دراستها: **نظرية الحضارة عند مالك بن نبي**، وفيها تم تناول الآلية النفسية، أي **عامل التغيير النفسي والبناء الحضاري** انطلاقا من فكر هذا العالم القدير[1].

ثم في 16 جوان 2019، تمت المشاركة في ملتقى علمي نظمته جامعة خميس مليانة بعنوان» :**المسألة الحضارية في فكر العلامة مالك بن نبي: أطروحات التغيير والنهضة**"، وفي إطار النقطة الأولى من المحور الثالث من هذا الملتقى، والمعنونة ب: **آليات إستعادة العالم الإسلامي مكانته الحضارية**، كانت لي مداخلة بعنوان: **دور عامل التغيير النفسي في عملية البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، مع محاولة إسقاط ذلك على العالم الإسلامي اليوم، وفي المستقبل أيضا، للوصول إلى القول بإمكانية استعادة هذا العالم مكانته الحضارية السابقة.

ولكن هذه المداخلة كانت مختصرة وموجزة، تبعا لطبيعة الملتقى المتسمة بحصر مدة المداخلة. ونظرا لأهمية هذه الداخلة، فإنه سيتم القيام بنشرها بعد توسيعها، حتى تعم الفائدة.

غير أن هناك عدة عناصر تناولها مالك بن نبي في دراسته لعامل التغيير النفسي ودوره في عملية البناء الحضاري بالتحليل العميق والتفصيل، وبما أن هذه الدراسة التي بين أيدينا هي عبارة عن مقال يجب أن يكون محدود الصفحات، فلا يمكن تناولها بالتفصيل والتحليل المعمق.

وبالتالي تنطلق هذه الدراسة بطرح الإشكالية الرئيسية التالية:

-كيف يلعب عامل التغيير النفسي دورا في عملية البناء الحضاري عند مالك بن نبي؟ وإلى أي مدى يمكن إسقاط ذلك على حاضر العالم الإسلامي ومستقبله؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية التساؤلات الفرعية التالية:

- ما العلاقة بين عامل التغيير النفسي وعملية البناء الحضاري؟

---

[1]- . مجدان محمد، **مكانة الحضارة الإسلامية عالميا**، دار المواهب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، من ص 22 إلى ص 49

- كيف تؤثر الفكرة الدينية في عامل التغيير النفسي؟
- هل بإمكان المسلمين اليوم أن يغيروا حالهم؟ و- ما هي المثبطات التي تواجه المسلمين لتحقيق هذا التغيير، وهل يمكن تجاوزها؟

ولمعالجة هذه الإشكالية وأسئلتها الفرعية، يتم طرح الفرضيات التالية:

- لعامل التغيير النفسي دور في عملية البناء الحضاري.
- تؤثر الفكرة الدينية في عامل التغيير النفسي.
- بنى المسلمون الأوائل حضارة زاهرة بفضل الفكرة الدينية وعامل التغيير النفسي.
- الأمة الإسلامية اليوم قادرة على تغيير حالها

ونظرا لطبيعة الموضوع، **فإن** هذه الدراسة يلائمها ثلاث مناهج هي: **المنهج التاريخي**، وذلك بالتعرض للأسباب والمسببات التي أدت إلى التغيير عبر مراحل زمانية متوالية ومتباينة. **والمنهج المقارن**، وذلك بمقارنة كيف كان حال العرب في الجاهلية، وكيف أصبحوا بعد الإسلام وتمسكهم به. وكذلك بمقارنة وضع المسلمين الأوائل، بوضع المسلمين اليوم. وطبعا مع اتباع المنهج الهام الذي اعتمده مالك بن نبي، وهو **منهج التحليل النفسي**، بتبيان أثر الفكرة الدينية في عملية التغيير النفسي وعملية البناء الحضاري.

وللإجابة على الإشكالية الرئيسية، والأسئلة المتفرعة عنها، والتأكد من صحة الفرضيات المطروحة أو عدم صحتها، سيتم تقسيم هذه الدراسة إلى محورين أساسيين:

- يدور المحور الأول حول تحليل فكر مالك بن نبي فيما يخص دور عامل التغيير النفسي في عملية البناء الحضاري. بالإضافة إلى تأثير الفكرة الدينية في هذا العامل. وكيف استطاع المسلمون الأوائل إقامة حضارة راقية بفضل الفكرة الدينية وعامل التغيير النفسي.
- أما المحور الثاني فيكون حول إسقاط دور عامل التغيير النفسي على واقع العالم الإسلامي وحاله اليوم وفي المستقبل كذلك، للوصول إلى القول بإمكانية إستعادة العالم الإسلامي والمسلمين مكانتهم الحضارية التي كانت لأسلافهم، رغم صعوبة المهمة، بسبب وجود مجموعة من العقبات والعراقيل، ولكن هذه المهمة ليست مستحيلة، إذا حقق المسلمون مجموعة من الشروط.

أولا، عامل التغيير النفسي وعملية البناء الحضاري عند مالك بن نبي:

كان مالك بن نبي مفكرا متميزا، اهتم بمسألة النهضة، ودرس موضوع الحضارة، وركز أكثر على البحث في شروط النهضة، وأسباب التحضر، وعمل على تبيان وتحديد أسباب التخلف والإنحطاط، وعلى إبراز عوامل التراجع والسقوط للأمة الإسلامية، فقدم نظرية متكاملة في الحضارة والتجديد والبناء الحضاري، والتي استلهمها من دراسته لحال العالم الإسلامي في عصره، الذي تميز بالضعف الديني، والإنحطاط الفكري، والتخلف الإجتماعي والإقتصادي والسياسي، كما عاش ظاهرة الإستعمار لهذا العالم، بمختلف أشكاله ونتائجها، ومنها ظاهرة القابلية للإستعمار. فقام بتحليل الأحوال والأحداث التي كانت تحيط به، وبالتالي كان حال العالم الإسلامي وواقعه هذا من هموم فكره واهتمامه الكبير.[2]

ولهذا كرس كل حياته، وكل جهده في التعامل مع قضايا هذا العالم ومشاكله، وخاصة القضايا والمشاكل الأساسية التي تواجه العالم الإسلامي ويعيشها، والتي سماها: "**مشكلات الحضارة**"، وهي قضايا ومشكلات **التخلف، والفقر، والأمية، والإستبداد السياسي وما يرتبط بها**. وأدرك بذكائه أن المجتمع الإسلامي بإمكانه إعادة بناء نفسه من جديد وتغيير أحواله، والخروج والتخلص من هذه المشكلات.

عالج مالك بن نبي إذن مختلف قضايا العالم الإسلامي، خاصة القضايا الأربع، بطريقة منهجية علمية واضحة، مستعملا في ذلك مناهج علمية متنوعة ومتكاملة: المنهج التحليلي (التفكيك والتركيب)، المنهج التاريخي، المنهج المقارن، ومنهج التحليل النفسي. وهذا المنهج الأخير هو محور هذه الدراسة.

---

[2]- أبو بكر جيلالي، **استراتيجية البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

1.ارتباط عملية البناء الحضاري بعامل التغيير النفسي:

استعمل مالك بن نبي ووظف منهج التحليل النفسي، من خلال تصوره لأثر الفكرة **الدينية**، والتي سماها "**مركب الحضارة**"، ودورها في عملية التغيير النفسي، وبالتالي في بناء الحضارة.

فيرى أن منهج التحليل النفسي هذا يبين لنا بوضوح أكبر جانبا من الظاهرة في هذا المركب، إذ يكشف لنا التأثير في خصائص الفرد النفسية، والعوامل التي تؤدي إلى تغييرها. "**فكل تغيير حقيقي في المجتمع لا يكون إلا بتغيير ملائم في النفوس**" طبقا للقانون الإلهي الأعلى الذي لا يتبدل ولا يزول: "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**"(الرعد، الآية 11).

ولهذا يرى مالك بن نبي أن على المسلمين أن يغيروا ما بأنفسهم، لتتغير أحوالهم، على أن يكون الجيل الأول من المسلمين هو القدوة والنموذج في هذا التغيير، فكان الحديث النبوي: "لا يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها"، هو محور تصوره لهذا التغيير النفسي، وكيفية النهضة. فالمجتمع الإسلامي حسبه، لا يستطيع إعادة بنائه الحضاري من جديد، إلا بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وذلك ليس إعتمادا على مصداقيتهما، هذا لا شك فيه ولا ريب، ولكن إعتمادا على فعاليتهما وتأثيرهما في نفوس الأفراد، وفي المجتمع، وفي عملية التغيير، وهو ما سماه ب: "الفاعلية"[3].

يرى مالك بن نبي أن المجتمع الإسلامي في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو نموذج للإقتداء والإتباع، لأنه تميز بهذه الفاعلية والتغيير النفسي،فالقرآن الكريم لم يكن حبرا على ورق، أو آيات تتلى وترتل ويتعبد بها فقط، بل كانت تعاليمه ومغزاه تطبق في الواقع الإجتماعي السلوكي فغيرت النفوس، فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته (رضوان الله عليهم)، ملتزمون بتعاليم وإرشادات الوحي، كان الواحد منهم لا ينتقل إلى حفظ الآية الموالية، والقرآن ينزل، حتى يطبق الآية الأولى على نفسه في سلوكه

---

[3]- أنظر حول الفاعلية وتأثير القرآن في الواقع الاجتماعي، في: بن نبي مالك، **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 1981.

ونشاطه. بكلمة مختصرة، كانوا كما وصفوا، **قرآنا يمشي**، أو كما وصفت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، الرسول (صلى الله عليه وسلم): "**كان خلقه القرآن**". كان سلوكهم ومعاملاتهم كلها، صورة طبق الأصل لما في القرآن الكريم. وبهذه الفاعلية وهذا التغيير النفسي، أقاموا حضارة راقية يشهد بعظمتها الأعداء قبل الأصدقاء[4].

نعم إن عامل تغيير ما بالنفس يلعب دورا هاما في عملية البناء الحضاري، ويلعب الدين الدور الأساسي في ذلك. ولكن كيف يتم هذا الأمر؟

تناول مالك بن نبي عامل التغيير كأساس عام في كل حركة تاريخية حضارية، فهو يلازم كل عملية تؤدي إلى التجدد أو التطور، أو تصنع التقدم والإبداع في مختلف ميادين حياة الإنسان، سواء الفكرية أو الإجتماعية أو المادية...ألخ.

ويرى أن كل عملية إنتاج الأفكار والقيم والأشياء من أجل التجديد والبناء الحضاري، يكون بدافع الفكرة الدينية، هذه العملية تتضمن تغييرا يحدث في روح الفرد وروح المجتمع وروح الأمة. أي أن عامل التغيير يبدأ في داخل نفس الفرد، ولا يتغير شيء في خارجه، إن لم يغير الفرد نفسه. وهذه حقيقة علمية وقانون إنساني وضعه الله، كسنة من سننه عز وجل التي تقوم عليها حياة البشر منذ خلقهم سبحانه إلى أن يرث الأرض ومن عليها. هذا يعني أن التغيير في محيط الفرد لا يمكن أن يحدث، إلا بحدوثه في نفسه أولا[5].

تغيير النفس إذن هو الأساس لكل تغيير هادف رشيد، يبدأ هذا التغيير من داخل نفس الفرد، ثم ينطلق إلى خارجه في المجتمع وفي الأمة وفي الإنسانية كلها. وبالتالي يظل التغيير حركة إنسانية ضرورية لتجديد الحضارة وبنائها، تغيير يحصل عند إنسان تحرك في التاريخ، لتحقيق وجوده، وأصبحت إرادته قوية في الإرتقاء الحضاري، تغيير يحصل عند إنسان ظل يعاني الفساد، فتحرك لإصلاح أحواله، تغيير يحصل عند كل من انطلق نحو البعث والإحياء وإعادة البناء، وترك الجمود والتخلف والإنحطاط[6].

إن البناء الحضاري عند مالك بن نبي إذن، يتمثل في ذلك التغيير الذي يحدث في نفس الفرد ثم ينتقل إلى المحيط الإجتماعي الذي يعيش فيه الفرد. ويكون هذا التغيير في الميول

---

(4)- بن نبي مالك، **مذكرات شاهد القرن**، دار الفكر، طرابلس، لبنان، 1983، ص 66.

(5) - ------- **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين**، دار الفكر، دمشق، 1978، ص 58

(6)- المرجع نفسه، ص 25

والرغبات والأحاسيس والإهتمامات والتصورات والرؤى والتفسيرات... الخ، بحيث تتغير رؤية الفرد ونظرته إلى نفسه وإلى محيطه وإلى الوجود وسبب الوجود وهو الله، وإلى الآخرين، وإلى كل ما حوله، فتنشأ عنده تصورات جديدة ومفاهيم جديدة عن نفسه، وعن الآخرين، وعن المجتمع، وعن الطبيعة، وعن الوجود ككل، وعن خالق الوجود الله سبحانه وتعالى.

ينطلق البناء الحضاري إذن عندما يبدأ الإنسان في تغيير ما بداخل نفسه، ليغير ما في خارجها بعد ذلك، بحيث تتغير أفكاره وأخلاقه ومشاعره وعاداته وآماله وغاياته وسلوكاته.كما أنه يتصور ويعرف الغاية التي من أجلها خلقه الله، والمهمة أو الأمانة التي كلفه وشرفه بحملها، مهمة وأمانة الإستخلاف والعمران، التي عجزت كل المخلوقات عن حملها، "**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**"(الأحزاب، الآية 72).

وارتباط البناء الحضاري بعامل التغيير النفسي، حسب مالك بن نبي، يعتبر سنة إلهية، بدليل القرآن الكريم "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**"(الرعد، 11 الآية). كما أنه عامل يتماشى مع القوانين الكونية، ومع المنطق السليم، إذ لا يمكن لمجتمع أن يتغير نحو الأحسن والأفضل، ما لم يتغير أفراده، ولا يتغير أفراد هذا المجتمع، ما لم يبدأ هذا التغيير في نفس كل فرد الذي هو جزء من المجتمع.

الشرط الأساسي إذن في عملية التغيير المطلوب لأي حركة نحو التحضر، عند مالك بن نبي هو تغيير عالم النفس، بمحو كل ما فيها من إعوجاج وأمراض وفساد في التصورات والمفاهيم، وما فيها من جهل للأمور، وغموض في الأفهام، وذلك بتنويرها بالحقيقة والمعرفة الصحيحة، وتربيتها على الأخلاق الحميدة، ودفعها إلى التمسك بالإيمان الصادق، والعمل الدؤوب، والعلم المفيد النافع. وتمكين النفس من هذا كله، هو أصل البناء الحضاري، لينعكس ذلك فيما بعد في الواقع الإجتماعي، حيث يظهر في نتائج حضارية في مختلف مجالات الحياة: دينية، فكرية، سلوكية، أخلاقية، علمية وتكنولوجية، وغيرها من النتائج الطيبة.

وفيما يخص العالم الإسلامي الذي ظل يعاني الجمود والركود والتخلف، فقد تناول مالك بن نبي حاله على أساس أنها مشكلة تتطلب الحل، والذي لا يكون إلا بتمسك المسلم بقاعدة التغيير النفسي المشار إليها. ويرى أن الأمة الإسلامية قادرة على الخروج من الأوضاع السيئة التي تعيشها وتحياها، بشرط أن تتمسك بهذه القاعدة التي تدعو إلى التغيير والتجديد والتحول على مستوى الذات الإنسانية وفي داخلها.

وبالتالي فالتغيير على مستوى المحيط الخارجي، يكون بعد التغيير الذاتي الداخلي للنفس الإنسانية، وفي محاولة القيام بهذا التغيير، يكون الله في عون العبد المسلم، ما دام هو يغير نفسه أولا، ثم يغير محيطه الخارجي، وهذا مصداقا لقوله تعالى: "**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله أولائك هم الصادقون**" (الحجرات، الأية 15). فالإيمان الصادق الذي لا شك ولا ارتياب فيه هو التغيير النفسي الداخلي، بإزالة ما فيها شوائب ومخلفات الإعتقادات الباطلة، والجهاد هو بذل كل جهد لينتقل هذا التغيير إلى خارج الفرد ومحيطه الذي يعيش فيه[7].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يرى مالك بن نبي أن هذا التغيير يجب أن يكون مستمرا في كل مرحلة من مراحل التحضر، وذلك لأن الحضارة تتطلب تجنب الإتكال على الغير، والبعد عن أسلوب **الإستيراد والتكديس**، فلا يمكن لشعب أن يتحضر إلا إذا امتلك وعيا حضاريا يميز بين البناء والتكديس، وبين الإنتاج والإستيراد[8].

أي أن المقياس العام في عملية التحضر، كما يقول هو أن: (الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وسيكون من السخف والسخرية حتما أن تعكس هذه القاعدة، حين نريد أن نصنع الحضارة من منتجاتها، وأنه حتى إذا اشترينا منتجات لحضارة أخرى، فلا نستطيع

---

[7]- قطب سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط 1، 1986، ص. 33- 49

[8] بن نبي مالك، **تأملات**، دار الفكر، بيروت، 1986 ص 67

أن نشتري الروح والأفكار التي صنعت هذه الأشياء، فالحضارة بناء نابع من داخل المجتمع لا من خارجه.[9]

ولهذا فيما يخص الأمة الإسلامية، يرى أن سبب تخلفها يعود إلى تصورها الخاطئ للتقدم والنهضة، عن طريق تقليد الحضارة الغربية، حيث قال: (هذا شأن العالم الإسلامي، إنه دخل صيدلية الحضارة الغربية، طالبا الشفاء، ولكن من أي مرض ؟ وبأي دواء؟ وبديهي أننا لا نعرف شيئا عن مدى علاج كهذا. ولكن الحالة التي تجري هكذا تحت أنظار الجميع منذ نصف قرن، لهي حالة اجتماعية، يجب أن تكون موضوع تأمل وتحليل.[10]

2. تأثير الفكرة الدينية في عامل التغيير النفسي[11]:

هذا حول دور عامل التغيير النفسي في عملية البناء الحضاري وأهميته عند مالك بن نبي، ولكن كيف يتم هذا التغيير؟ أي ما هو العامل الذي يدفعه ويؤثر فيه ؟

يرى مالك بن نبي أن العامل الروحي والذي يسميه الفكرة الدينية، أو مركب الحضارة، يلعب دورا أساسيا في هذا التغيير النفسي، فهو الذي يدفع الإنسان ليتحرك في التاريخ ويغيره، فتأثير الفكرة الدينية في النفس الفردية والإجتماعية على السواء، هو الذي يحدث الدوافع والأسباب في روح الفرد وروح المجتمع إلى النهوض والتحضر.

وأهمية الفكرة الدينية في حياة الأفراد والمجتمعات كبيرة جدا عند مالك بن نبي، لأن لها علاقة بحركة التاريخ، وقيام المجتمعات، وبناء الحضارات، الأمر الذي جعله يدخلها في أفكاره ودراساته، وذلك لأنها أساس بناء الحضارة، وأساس تحريك عجلة التاريخ، وأساس تشييد المجتمع المتحضر.

---

[9]- بن نبي مالك، **شروط النهضة**، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت 1986، ص 61

[10]- العبدة محمد، **مالك بن نبي مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي**، دار الفرقان، الجزائر، 2002، ص. ص 105، 109

[11]- أنظر علاقة الدين بالحضارة، في: البهي محمد، **الدين والحضارة الإنسانية**، دار الفكر، القاهرة 1985

وإذا كان الدين في نظر البعض، عامل تخدير وجمود وتخلف، أو كما قال ماركس: "الدين أفيون الشعوب"، فعند مالك بن نبي، هو عامل تركيب وتأليف بين عوامل وشروط البناء الحضاري. إذ كما هو معروف، فإن مالك بن نبي يرى أن الحضارة ناتج لعوامل ثلاث: **الإنسان والتراب والوقت**، تؤلف بينها وتجمعها **الفكرة الدينية**، والتي سماها: "**مركب الحضارة**".[12]

وفي هذا الإطار، يرى مالك بن نبي أن الفرد عند انطلاق البناء الإجتماعي والتاريخي والحضاري، هو فرد طبيعي فطر ي غريزي، تقوم الفكرة الدينية بضبط وإخضاع غرائزه، ولكن ليس بتعطيلها أو إزالتها، بل تعمل على تنظيمها وتهذيبها تبعا لنظام يضمن انسجامها مع معطيات الفكرة الدينية، فيصبح الجانب الحيوي في هذا الإنسان خاضعا لقوانين يضعها الدين، فتسيطر حاجات ومطالب روحية على فكر الفرد وتأملاته وتصوراته وسلوكه، ويحدث الإرتفاع من الهيمية الطبيعية لهذا الإنسان، إلى مستوى الروح السامية في سلم التغيير والتطور. وهذا التحول النوعي والمهم، في حياة الفرد هو من صنع الفكرة الدينية وتأثيرها.

ومن جهة أخرى، يرى مالك بن نبي أن من شروط البناء الحضاري كذلك العاملين **الأخلاقي والجمالي**، ولكن يوجد وراءهما عامل يمثل الأهمية والمرجعية لجميع العوامل، وهو العامل الروحي، فالصلات الإجتماعية التي تتضمن القيم والقوانين الأخلاقية والجمالية، هي من صنع علاقة روحية ورابط معنوي بين الله وبين الإنسان، وهي التي تكون وراء ميلاد أي مجتمع يدخل التاريخ، ويصنع التجديد الحضاري ويبني الحضارة،(... **فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شريعة ومنهجا**)[13]

---

[12]- بن نبي مالك «**ميلاد مجتمع**"، شبكة العلاقات الإجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 1974، ص 52

[13]- --------، **شروط النهضة**، مرجع سبق ذكره، ص 75

يرى مالك بن نبي كذلك أن الفكرة الدينية تشترط سلوكا معينا لدى الفرد، يكون بواسطته قادرا على القيام بدوره، وعلى أداء المهمة التي كلف بها، ودوره لا يتوقف عند بعث التجديد الحضاري وبناء الحضارة فقط، بل تعمل هذه الفكرة الدينية على ضمان استمرار هذه الحضارة وحمايتها من عوامل وأسباب السقوط والإندثار، (فالمجتمع **لا يمكنه مواجهة الصعوبات التي يواجهه بها التاريخ، ما لم يكن على بصيرة جلية من هدف وجوده)**[14]

إن نجاح النشاط الإنساني مرهون بالغاية التي من أجلها يحيا الإنسان، ولأجلها وجد المجتمع، فإذا كانت الفكرة الدينية تشترط السلوك الفردي، ليقوم الفرد بمهمته ويبني الحضارة، فإن ارتباط الأفراد بغاية ما، ينشئ في داخلهم الرغبة في البناء والتجديد، ويعطيهم الإرادة القوية لفعل ذلك، وبذلك تصبح الحياة ذات دلالة وذات معنى.[15]

من كل هذا يتبن أن البناء الحضاري في حياة أي مجتمع، حسب مالك بن نبي، يتطلب العوامل النفسية في أي دورة حضارية، فهي تحتاج إلى شروط تاريخية نفسية واجتماعية، والشروط النفسية تكون في البداية ذات طابع ذاتي خاص (فردي)، ثم تتبلور وتنطلق داخل المجتمع، فتصبح ذات طابع إجتماعي، أي أن بعض الشروط التاريخية يفرضها الإجتماع البشري، وتقتضيها شبكة العلاقات الإجتماعية والحياة داخل المجتمع، فدعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الإسلام، بدأت من بيته، ثم محيطه القريب، ثم انتشرت في جميع بقاع العالم. بدأت ب: "**وأنذر عشيرتك الأقربين**" (الشعراء، 214)، ثم:"**وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها**" (الشورى، 7)، وانتهت ب: "**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**" (سبأ، 28) و "**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**" (الأنبياء، 107).

---

[14]– المرجع السابق، ص 107

[15]- المرجع نفسه، ص 109

وإذا كانت الفكرة الدينية تبني شبكة العلاقات الإجتماعية، وتنشئ حركة التطور، فإن الحضارة تمثل هذا التطور،الذي هو من فعل الفكرة الدينية في الأصل،لذا حرص مالك بن نبي على توضيح أثر ودور الفكرة الدينية في تركيب الحضارة،, فعندما تقوى العلاقة الدينية، تقوى شبكة العلاقات الإجتماعية، ويضيق مجال الفراغ الإجتماعي، أما عندما تضعف العلاقة الدينية، تضعف معها العلاقات الإجتماعية، فتتفكك شبكة هذه العلاقات، ويتسع مجال الفراغ الاجتماعي.[16]

يظهر من هذا أن حركة التطور الإجتماعي، تعود لعوامل دينية واجتماعية، تتمثل في ظواهر وعوامل روحية، تبني المجتمع وتهدف إلى تنمية وتطوير حياته، فتصبح تلك الظواهر والعلاقات الروحية بمثابة عوامل وقوانين تحرك التاريخ وتصنع التقدم والإزدهار، يقول مالك بن نبي في هذا الإطار: (**العلاقة الروحية بين الله والإنسان، هي التي تلد العلاقة الإجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان. فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الإجتماعية والعلاقة الدينية معا من الوجه التاريخي على أنها حدث، ومن الوجهة الكونية على أنها عنوان على حركة تطور إجتماعي واحد)**.[17]

وبما أن عامل التغيير يحدث في نفس الفرد، ثم ينتقل إلى المجتمع، فهذا يدل على وجود العلاقة

العضوية بين الإثنين. فإذا كان الفرد في حاجة إلى الجماعة لتستقيم حياته، فإن الجماعة في حاجة إلى الأفراد لتضمن قيامها وسيرها إلى الأمام، فهي في أمس الحاجة إلى النظام، لتحقق وجودها واستمرارها. وهذه الجماعة تظهر في صورة مجتمع يظل في حاجة كبيرة إلى عقيدة موحدة، تنشئ العلاقات والقيم الأخلاقية، وترسخ في أفراد المجتمع الشعور المشترك بحاجة الأفراد إلى بعضهم البعض، وبوجود رسالة ووظيفة في مستوى الفرد، وفي مستوى الجماعة، وفي مستوى الأمة، وبوجود مبادئ وغايات لا تضمن وجودها إلا

---

[16]- المرجع السابق ، ص 92

[17]– بن نبي مالك، **ميلاد مجتمع**، مرجع سبق ذكره، ص 52

بالوسائل والطرق المناسبة. فتكون هذه العقيدة الموحدة، هي الدافع إلى النهوض بالرسالة والوظيفة داخل المجتمع، فيبدأ التاريخ وتنطلق الحضارة.

فالتاريخ يصنعه الإنسان، والحضارة إنتاج إنساني في التاريخ، وهذا الصنع وهذا الإنتاج، من فعل الإنسان بدافع من الفكرة الدينية والمبدأ الروحي.

هذا فيما يخص بناء الحضارة عند مالك بن نبي، وهذه الحضارة تنتهي وتسقط بغياب العامل الديني (**مركب الحضارة**)، "**عندما يفقد الإنسان همته (قوة الإيمان)، وتتوقف الرياح التي حركته كما يتوقف نور الروح، ويتوقف معه إشعاع العقل، تسقط الحضارة، لأن الروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم، وحينما تفقد الروح، تسقط الحضارة وتنحط، لأن من يفقد القدرة على الصعود، لا يملك إلا أن يهوى بتأثير جاذبية الأرض**"، التي هي هنا الغريزة التي تجذب إلى الأسفل، في حين تدفع الروح إلى الأعلى.[18]

3. تأثير الفكرة الدينية وعامل التغيير النفسي في المسلمين الأوائل:

إذا تم النظر إلى الحضارة الإسلامية التي أقامها المسلمون الأوائل، فإن مالك بن نبي يرى أنها كانت من إنتاج الوحي الإلهي الذي نزل من السماء على رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم)، فكان ذلك الوحي شريعة ومنهاجا سار عليه المسلمون.

قامت هذه الحضارة الإسلامية بدخول الروح القرآنية، فألفت بين عوامل التحضر، وانتقل على إثرها الإنسان العربي من حياة البادية القاحلة القائمة على الترحال والبساطة، إلى حياة عرفت دولة إسلامية قوية جدا بعدتها وعددها عسكريا واقتصاديا وفكريا، وبنوا حضارة راقية، كانت خيرا ورحمة على العالم كله.

لقد استمسك المسلمون الأوائل بالإسلام، وكانوا في جاهلية، فلم يسمحوا لتقاليد وأحكام وأفعال هذه الجاهلية أن تقف في وجه التمسك الروحي بتعاليم القرآن الكريم،

---

[18]- بن نبي مالك، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، 1981، ص 26

وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبذلك بزغت شمس الحضارة، وسطع نور النهضة في صحراء العرب، وعند رجل الفطرة البدوي الذي لا يعرف إلا الحل والترحال بحثا عن الماء والكلأ.

لقد كان العرب قبل الإسلام في جاهلية عمياء فيها الوثنية وعبادة الأصنام، فيها النعرة القبلية والأخذ بالثأر، ووأد البنات، فيها الزنا ومعاقرة الخمر، وغيرها من الرذائل، رغم وجود بعض الخصال الحميدة عندهم، كالكرم وإغاثة الملهوف والشجاعة والحكمة. ولما جاء الإسلام، غيرت تعاليمه ذهنية الإنسان العربي وأخلاقه ومشاعره وحاجاته وصلاته بنفسه وبمحيطه وبمخالقه وبكل شيء حوله، فآمن بكل ما في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وصدقهما وعمل بهما، فأنشأ حضارة لا نظير لها في تاريخ البشرية السابق واللاحق.

كان العامل إذن وراء ظهور الحضارة الإسلامية، هو دين الإسلام. هذه الحضارة التي بدأت دورتها بنزول الوحي (القرآن الكريم)، وشهدت بعد ذلك قمة الخلق الرفيع، وحياة جديدة، السيادة فيها للروح وللمثل العليا، لا للشهوات والغرائز. كما شهدت حياة فكرية وعلمية واسعة، نقلت من الأولين، ووضعت علوما جديدة، وبنت حضارة راقية، وكانت روح الإنسان المصدق والمؤمن بالإسلام هي العامل الحاسم في هذا البناء الحضاري.

إن التمسك بالدين، ويعني هنا الإسلام، لأن الدين عند الله الإسلام، "**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**" (آل عمران، 85). هذا التمسك يؤدي إلى الإيمان بالله وبالعالم الآخر، وينفي عن نفس الإنسان هاجس وشبح الفناء وقصر العمر مهما طال، ويمنحها الشعور بالدوام والخلود، كما ينفي عنها الإحساس بضياع الجهد والتضحية بلا ثمرة ولا جزاء، لأن اليوم له استمرارية في الغد، "**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**"(الحشر، 18). والإنسان دون دين ودون عقيدة صحيحة في الله، وبعالم آخر يوم الحساب والجزاء، لا بد أن يسيطر عليه إحساس بالفناء وقصر العمر وضآلته مهما طال، ويستولي عليه شعور بعدم الأمن والإطمئنان، هذا الإنسان لا ينتظر منه بناءأ حضاريا جادا. ما الذي يدفعه للتضحية وبذل الجهد؟ قد يكون الدافع المنفعة أو المصلحة الشخصية الضيقة الزائلة. ثم ما ذا بعد تحقيق هذه المنفعة وتلك المصلحة؟

أما الإنسان صاحب دين وعقيدة صحيحة في الله وفي يوم الحساب والجزاء، فإنه يجد الأمن والإطمئنان في معية الله ورحابه، وهو يتوجه إليه وحده بأعماله، كعبادة له سبحانه، ويقاوم قوى الشر والطغيان، ببذل الغالي والنفيس، طلبا لمرضاته وجزائه، ويجتهد لنشر الخير والصلاح وتعمير الأرض، تأدية لدوره في هذا الكون، (الإستخلاف والعمران)، وتطبيقا لإرادة الله، وانتظارا أو رجاءا لثوابه وجزائه، فهذا ينتظر منه بناءا حضاريا راقيا، وهذا ما فعله وسار عليه المسلمون الأوائل، فكانوا خير سلف[19].

ثانيا،إسقاط عامل التغيير النفسي على الأمة الإسلامية حاضرا ومستقبلا: إذا تم إسقاط دور عامل التغيير النفسي على واقع العالم الإسلامي اليوم وفي المستقل، من أجل تبيان مدى إمكانية إستعادة مكانته الحضارية، فيمكن رؤية أن هذا العامل مع قانون التداول قد أظهرا أن الأحوال والظروف تتبدل، والدنيا تتحول، والعالم يتغير،وأحيانا بسرعة فائقة، والحضارات انتقلت من مجتمع لآخر ومن أمة لأخرى. فمن يستقرئ ويتابع أحوال الأمم والمجتمعات على طول التاريخ الإنساني، يجد أن الحضارة وقيادة العالم، قد انتقلت من أمة لأخرى بفعل عامل التغيير، فقد كانت في الشرق أيام الفراعنة والهنود والصينيين والبابليين والآشوريين والفينيقيين، ثم انتقلت إلى الغرب أيام اليونان والرومان، ثم عادت إلى الشرق على يد المسلمين، ثم انتقلت مرة أخرى إلى الغرب، وهي مستقرة اليوم هناك.

ولكن هذا الغرب تغير، ولم يحفظ أمانة قيادة الحضارة والسير بالمجتمع البشري إلى بر الأمان، بل إنه قد أفلس في عدة ميادين، وخاصة في ميدان الروح والأخلاق،وقصر في مجال العدل، وأعلى القوة على الحق، وقدم المصالح الضيقة على المصالح العليا للإنسانية، وطغى واستعلى واستكبر وتجبر وظلم، كما اهتم بالمادة على حساب الروح، فقد تغلغلت المادة في فكر الناس وسلوكهم وفي حياتهم، بل وفي اعتقاداتهم بدل الإيمان الصحيح، اهتم

---

[19]- . أنظر دور التمسك بالعقيدة، في: قطب محمد، (د.ت.ن)، **شبهات حول الإسلام**، الإتحاد العام للمنظمات الطلابية.

الغرب بالمادة على حساب الإنسان، وكال بمكيالين في تعامله مع شؤون الناس وقضاياهم، كما بلغ الإنحلال والفساد الأخلاقي والسلوكي مداه عندهم، والحضارة لا يمكن تبعا لسنن الله وقوانينه، أن تستمر بلا أخلاق، والأخلاق لا يمكن أن تنموا ويكون لها تأثير في الحياة، إلا في رحاب الإيمان، ولكن كل هذا مفقود في الحضارة الغربية الآن، التي أفلست تماما. فكان من قانون الله وخدله، أن تنتقل

الحضارة والقيادة من الغرب إلى أمة أخرى. لأن الله لن يوقف عجلة الحياة، ولن يصير ما فيها إلى دمار وخراب، بل إن الحياة ستبقى تتجدد باستمرار، وستبقى الحضارة تترى على أهل الأرض، وهذا يستوجب وجود أمم تقودها. فمن هي الأمة الجديرة بذلك؟[20]

1. الأمة الإسلامية اليوم وعامل التغيير النفسي:

إذا تم إمعان النظر، فإنه يمكن رؤية أن قانون التغيير النفسي يعمل اليوم لفائدة الأمة الإسلامية، فمن جهة نجد أن الذين يتغيرون ويتحولون باختيارهم من الاحسن إلى الأسوأ، من الإيمان إلى الكفر، ومن الخير إلى الشر، من الإستقامة إلى الإنحراف، ومن الصلاح إلى الفساد، من العدل إلى الظلم، ومن الفضيلة والأخلاق إلى الرذيلة والنفاق...الخ، يتحملون نتائج ذلك. وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم بكل وضوح بقوله سبحانه: "**ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكلا كانوا ظالمين**"(الأنفال، 53، 54)

وإذا ما طبق هذا القانون (التغيير النفسي)، على الحضارة الغربية التي وصلت إلى ما وصلت إليه من التمكين والقوة والعلم والرخاء، ومن التقدم المادي والتكنولوجي الكبير. ولكن أهلها خانوا أمانة القيادة والمسؤولية الإنسانية، فطغوا واستكبروا وتجبروا وفسدوا وأفسدوا وظلموا، أي أنهم غيروا ما بأنفسهم إلى الأسوأ. ولذلك فهم يستحقون أن يطبق

---

[20]- البوطي سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1983، ص 155 وما بعدها

عليهم قانون الله وعدله، فيغير الله ما بهم ويسحب لقيادة منهم، وينزع الحضارة عنهم، ويحولها ويمنحها لغيرهم، لقوله تعالى: "**ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب**"(البقرة،211). هذا ينطبق على الغرب الذي بدل نعمة الله، وهي القيادة والسيادة والحضارة، والعقاب الشديد أن تنزع منه هذه كلها.

ومن جهة أخرى، وحتى تتم دورة هذا القانون الإلهي، في الجهة المقابلة، فإن الذين تتغير أنفسهم وأحوالهم من السيئ إلى الأحسن، من الكفر إلى الإيمان، ومن الشر إلى الخير،من الضلال إلى الهدى، ومن الإنحراف إلى الإستقامة، من الفساد إلى الصلاح، من الكسل إلى الجد والعمل، ومن الرذيلة والنفاق، إلى الفضيلة والأخلاق..الخ، فإنهم كذلك يستحقون أن يغير الله حالهم من الضعف إلى القوة، من الذلة إلى الرفعة، ومن الإستضعاف إلى التمكين، من الهزيمة إلى النصر، ومن التأخر والإنحطاط، إلى التقدم والتحضر...الخ. وهذا أيضا ما يشير إليه القرآن الكريم بوضوح بقوله عز وجل: "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**"(الرعد، 11).

إن قانون التغيير النفسي هذا يزرع في الأمة الإسلامية اليوم الأمل والرجاء في تبدل وتحسن أحوالها وظروفها، إلى الأفضل والأحسن. فقد تغير الكثير من المسلمين في عصر ما سمي بالصحوة الإسلامية، تغييرا كبيرا بالفعل، تغيروا من الإبتعاد عن الإسلام والنفور منه، إلى الإقبال عليه، ومن الجهل به وبأحكامه، إلى الحرص على تعلمها بعمق وإخلاص وجد.

لقد أيقظت هذه **الصحوة** العقول بالوعي الإسلامي، وعمرت القلوب بالإيمان، وحركت العزائم إلى الإلتزام والجد والعمل. غيرت الكثيرين من التسيب والإعراض عن تعاليم الإسلام، إلى الإهتمام بها وتطبيقها، من اهتمام الفرد بأموره الخاصة، وعدم المبالاة بمصير أمته كلها، إلى حمل همومها، والمشاركة في قضاياها بإخلاص وتفان وفعالية. من الركض خلف اللذات والشهوات المحرمة، إلى إحياء الدعوة الإسلامية والسنة النبوية، والذود عن الدين وعن حرماته ومقدساته، من التعري والسفور عند النساء، إلى التزام الستر، وإلى الإلتزام بالأخلاق والسلوكات الإسلامية من الجميع، من البعد والنفور عن

المساجد وارتياد أماكن اللهو والفساد والرذيلة والمجون، إلى تعمير بيوت الله. من السفر إلى الغرب لقضاء أيام وليال ماجنة، إلى السفر لأداء العمرة والحج في الأراضي المقدسة[21].

هذا في ميدان السلوك العملي، أما في الميدان المعنوي والفكري، فقد غيرت الصحوة الإسلامية الكثير من الأفكار والمفاهيم لدى الجيل الجديد من المسلمين، غيرتها من التفكير اللائكي بل الإلحادي، إلى التفكير الإسلامي الخالص. ومن الولاء للغرب ولقيمه، إلى الولاء للإسلام ولمبادئه. ومن التبعية والتقليد الأعمى للآخرين، إلى التحرر والعزة والإعتزاز بالإسلام. فنشأ جيل مسلم متمسك بالإسلام عقيدة وشريعة، فكرا وسلوكا، ورسالة وحضارة (أي منهج حياة)[22].

إن ما يحدث للأمة الإسلامية اليوم من تغيير في أحوالها وأوضاعها نحو الأحسن والأفضل شيء واضح ومشاهد. فبمقارنة حالها في العشريات الأخيرة، وحالها اليوم، نجد أن أحوالها قد تغيرت إلى حد كبير، إلى ما هو أحسن وأفضل في كثير من مجالات الحياة، وفي كثير من المستويات: الفكرية والأخلاقية والعملية والسلوكية.. وغيرها، وقامت حركات إحياء الإسلام في كثير من البلدان والمجتمعات الإسلامية.

ولهذا بدأ الغرب الصليبي والصهيوني الحاقد يخاف ويخوف من انبعاث الإسلام ونهضة أمته من جديد، ويرى أن ذلك يمثل تهديدا خطيرا له ولمكانته وتسلطه، وخاصة بعدما ازداد عدد المسلمين حتى في الغربب بدخول الكثيرين منهم في الإسلام، وانتشرت هناك المساجد والمراكز الإسلامية، بل والسلوكات والتعاملات الإسلامية كذلك. فهم في الغرب يقولون عن الإسلام: **إنه دين متحرك زاحف يتحرك وينتشر وحده ولا يحتاج إلى قوة تدفعه.** وما الهجمات الشرسة التي أثيرت هناك حول الإسلام: حول المآذن والحجاب والهجوم على المساجد، وحرق المصاحف، بل والخطب العنصرية في القنوات ووسائل الإعلام، وعلى ألسنة قادتهم، وكذلك العنف والتمييز ضد النساء المحجبات، والعنف والإعتداء ضد المسلمين، وجعلهم إرهابيين أو أعداء محتملين .كل هذا وغيرها، ما هو إلا

---

[21]- القرضاوي يوسف، **المبشرات بانتصار الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977، ص ص 95، 96

[22]- القرضاوي يوسف، **شريعة الإسلام، خلودها وصلاحها لكل زمان ومكان**، دار الشهاب، باتنة 1988

جزء من هذا التخوف والتخويف بالإسلام، والذي سمي عندهم بالإسلاموفوبيا والأصولية.[23]

وهكذا نرى أن هذه الصحوة قد أعادت للأمة الإسلامية الثقة بدينها، والرجاء والأمل في مستقبله، كما أقلقت أعداء الإسلام وأفزعتهم. لقد أثبتت هذه الصحوة وجودها على أكثر من صعيد، نذكر منها على سبيل المثال:

- **على الصعيد الفكري والعلمي**، هناك عودة واهتمام كبيرين بالفكر والثقافة الإسلاميين، فنجد أن المكتبة العلمية أصبحت تحتوي على الكثير من الدراسات الإسلامية. كما أصبح الكتاب الإسلامي هو الأهم، بل والأول في المعارض وفي سوق التوزيع.كما سجلت وقدمت ومازالت تقدم العديد من الأطروحات والرسائل الجامعية العليا (دكتوراه)، في مجالات الثقافة والفكر الإسلاميين في كثير من الجامعات ومراكز البحوث العلمية، في الدول الإسلامية عامة، وفي الغرب خاصة، وحول أفكار مالك بن نبي بصفة أخص، وظهر ما أطلق عليه "أسلمة المعرفة ، "Islamisation of Knowledge". كما أقيمت وتقام العديد من الملتقيات والندوات العلمية والفكرية، التي تناقش وتدرس المواضيع والدراسات الإسلامية على أعلى مستوى، كالملتقى الذي أشير إليه في بداية هذه الدراسة.

- **على الصعيد العملي:** السياسي والإقتصادي والإجتماعي والتربوي، هناك اهتمام كبير بتطبيق الإسلام في هذه الجوانب، فنجد وجود اتجاه واسع في المجتمعات الإسلامية، أصبح يدعو إلى الرجوع إلى الإسلام وتطبيقه في جميع هذه المجالات، ورفع شعار: "**الإسلام هو**

---

[23]- .--------، (1977)، المبشرات بانتصار الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص 97

الحل"، بعد أن جرب المسلمون كثيرا من الحلول المستوردة، التي جلبت الويلات والمآسي على الأمة.[24]

كل هذا يدل على أن الأمة قد تغيرت نحو الأحسن. وبالتالي وبمقتضى عدل الله وقانونه، أن لا ينساها الله، بل يكافئها على هذا التغيير النفسي والسلوكي، بأن يغير ما بها، ويحولها إلى حال أفضل، تبعا للمعادلة الإلهية العادلة التي لا تخطئ أبدا: "**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ؟" (الرحمن،60)

2.عقبات وعراقيل في طريق التغيير:

رغم ما ذكر عن أهلية الأمة الإسلامية للتغيير، إلا أن الطريق ليس سهلا ميسرا، بل هناك عقبات وعراقيل تواجهها، لعل أهمها[25]:

1.2. التآمر الصليبي الصهيوني:

يعمل الإستكبار والروح الصليبية عند الغرب، وتعاونه مع المكر الصهيوني، على أن لا تقوم للإسلام قائمة، بسبب عداوتهم وحقدهم للإسلام والمسلمين المترسخة في أعماق طبيعتهم وفي نفوسهم، والتي توارثوها منذ قرون، منذ انتصار المسلمين عليهم في حروب الجلاء والحروب الصليبية وغيرها، فهم لم ولن ينسوا خيبرا واليرموك وفتح الشام وبيت المقدس وعمورية، وغيرها من انتصارات المسلمين عليهم، بالإضافة إلى فشل غزواتهم المتكررة في العصر الحديث أن تحقق أهدافها، إذ تمكن المسلمون بعد جهاد طويل، من استرجاع أراضيهم وطردهم منها، باستثناء فلسطين التي ستتحرر إن شاء الله.

وفوق هذا فإن **الصليبية والصهيونية** تخوف من الإسلام القادم. كما يحاولون تشويه الإسلام والمسلمين وتلطيخ كل ما هو إسلامي، بالإتهام بالتطرف والعنف وعدم التسامح، والتخويف مما

يسمى بالإرهاب الإسلامي ومن القنبلة النووية الإسلامية. بل أكثر من ذلك، أعلن الغرب بزعامة أمريكا ومساندة أوربا ومساعدة إسرائيل، حروبا متنوعة ضد الإسلام والمسلمين: نفسية، إقتصادية إعلامية، وعسكرية.... وغيرها

---

[24]- أنظر كتاب القرضاوي يوسف، **الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا**، مؤسسة الرسالة، بيروت 1977.

[25]- أنظر تفاصيل هذه العقبات في: مجدان محمد، مرجع سبق ذكره، ص من 184 إلى 194

تعمل الصليبية وحليفتها الصهيونية وتخطط لضرب الإسلام وضرب صحوته، فتعقد المؤتمرات وتحاك المؤامرات، كما تشن حملات ضد الإسلام والمسلمين. ولكنهم لن يفلحوا، لقوله تعالى: "**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**"(الصف 8،9)، وقوله: "**والذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**"(الأنفال 36)[26]

2.2. وهن الأمة الإسلامية وتأخرها:

أي ضعف المسلمين وتأخرهم المنتشر والظاهر في كل مجالات الحياة العلمية، والثقافية، والإقتصادية، والسياسية، والإجتماعية، والإدارية، وغيرها. وكذلك الضعف الإيمان والأخلاقي، مثل انتشار الرشوة الساترة والمقنعة والإختلاسات، خاصة اختلاسات المسؤولين المؤتمنين على أرزاق الأمة ومقدراتها،الذين يسرقون الملايير من أقوات شعوبهم ويهربونها ويضعونها في بنوك ومؤسسات أعدائهم،بالإضافة إلى الظلم والتعسف في استعمال السلطة واستغلالها،والترف الفاحش والإنحلال والتفسخ والمجون، وما إلى ذلك.[27]

إذن فواقع الأمة اليوم، رغم ما أشير إليه من تغيير نحو الأحسن، إلا أنه يبين أنها ما زالت مصابة بداء التخلف والإنهزام الفكري، والجمود العقلي، والإنهيار الإجتماعي، والإنحلال الخلقي، والفساد السياسي، والتبعية الإقتصادية والعلمية والثقافية للغرب، وغيرها من المآسي.[28]

---

[26]- القرضاوي يوسف، الإسلام حضارة الغد، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995 ص 203

[27]- أنظر كتاب الغزالي محمد، الإسلام والطاقات المعطلة، دار الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة 1987

[28]- قطب سيد،، (د.ت.ن)، العدالة الاجتماعية في الإسلام، الإتحاد العالمي للمنظمات الطلابية، ص260

3. 2. رواسب الإستعمار والغزو الفكري الغربي ومخلفاته في الأمة الإسلامية:

هذه الرواسب والمخلفات التي أوقعها الإستعمار والغزو الغربي في بلاد المسلمين، هي شر وتخريب كبيرين، فلم يكن هذا الشر هينا ولا سطحيا أو بسيطا، بل ضخما وعميقا، ولم يكن في الجوانب المادية، بنهب ثروات لأمة وامتصاص خيراتها، وعرقلة نهضتها وتقدمها، فلو كان هذا فقط، لهان الأمر أمام الشر والتخريب والضرر الآخر، التخريب في الأنفس والضمائر والعقول، التخريب في الحياة الروحية والإجتماعية والنفسية والتربوية والسلوكية، أي تخريب الإنسان المسلم كلية.

لقد غير الإستعمار والغزو الغربي المفاهيم الأصيلة في الأمة، واستبدل بها مفاهيم غربية غريبة عنها، لا علاقة لها بتراثها ولا بعقيدتها ودينها، حتى وجد من المسلمين من يدعو بجرأة إلى إباحة
المحرمات والمنكرات، كالربا والرشوة والخمر والزنا، وبأنها من ضرورات العصر ومقتضياته، ووجد من يعتبر التمسك بالأخلاق والفضيلة تزمتا وتحجرا، والإلتزام بالدين والإيمان رجعية وتخلفا. أما
الإنحلال والتفسخ ةالعري، فهو الحرية والإنفتاح، وتقليد الغرب والسير على منهاجه، هو التقدم
والعصرنة والتحضر، بالإضافة إلى انتهاك حرمات الإسلام ومقدساته ومحاربته من قبل هؤلاء الذين ينتسبون إلى المسلمين.

ونجح الإستعمار والغزو الغربي بخططه المدروسة بدقة، في تكوين جيل من المسلمين يجهل الإسلام تماما، يجهل تعاليمه وعقائده، وتاريخه وتقاليده، إن لم يكن يعادي الإسلام ويحاربه بالكامل. ونجح في تربية جيل من المسلمين يؤمن بمفاهيم الغرب وقيمه وتقاليده، ويحياها بالفعل، بل ويدافع عنها ببسالة. كما طبع عقلية هذا الجيل وطريقة تفكيره ونظرته إلى حقائق الأمور، وإلى الحياة كلها، في القوالب والصيغ الغربية المادية الإباحية البحتة. ثم بدا ينشأ من هذا الجيل المتغرب، أجيال متتالية ربيت على نفس المنهاج الغربي، فكان كل

لاحق منها أبعد فهما وأبعد تمسكا بالإسلام، وأشد محاربة له من السابق، وأكثر اندفاعا وراء الحضارة الغربية المادية، وأشد حبا وتعلقا بالثقافة الغربية، وأخلص إيمانا وتمسكا بفلسفة الغرب في الحياة[29].

كما كان من خطط الإستعمار والغزو الغربي، أن كل من يسرع في التلون بالصبغة الغربية ويبتعد عن الإسلام ويعاديه ويحاربه، يحصل على المكانة في المجتمع، فأصبحت لهؤلاء المنهزمين الخانعين، كل المكانة في الميادين السياسية والإقتصادية والإجتماعية والتربوية والثقافية والعسكرية في مجتمعاتهم، وبالتالي كانوا هم الذين تزعموا الأمة ووصلوا إلى السلطة ومركز القرار، واستولوا على ثروات الأمة ومقدراتها، وأصبحوا هم خلفاء الإستعمار في بلدانهم بعد رحيله، ينفذون أوامره وتعليماته بحذافيرها، حتى يرضون أولياء نعمتهم. فلا عجب أن غادرت قوات الإستعمار بلاد لمسلمين، ولكن مخلفاته وآثاره الفكرية والنفسية والاجتماعية لم تغادر أبدا[30].

3.3. شروط تجاوز الأمة هذه العقبات والعراقيل:

هذا هو واقع الأمة الإسلامية اليوم، وهذا حالها. لكن هذا الواقع لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية، فدوام الحال من المحال، ولأن هذا يتنافى مع طبيعتها وخصوصيتها، هذه الأمة التي لا تجتمع على ضلالة. كما أن من خصائص الإسلام روح هذه الأمة، أن حركة التجديد والإحياء فيه من الداخل تبقى مستمرة. كما أن هذه العقبات ليست قدرا محتوما على الأمة الإسلامية ومفروضا عليها، لا يمكنها الخلاص منه، بل هناك شروط لتجاوزها وتحقيق الإقلاع الحضاري، إذا التزمت بها الأمة، ومن ضمنها[31]:

---

[29]- أنظر دور الغزو الفكري الغربي في كتاب الجندي أنور، سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة (د.ت.ن).

[30]- قطب سيد، (د.ت.ن)، العدالة الإجتماعية في الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص ص 261، 262

[31]- أنظر هذه الشروط في: مجدان محمد، مرجع سبق ذكره، من ص 194 إلى 211

3.3 1. وجود الرغبة والإرادة لدى الأمة للتغيير:

أي وجود وتحقيق ما يسمى بالإرادة السياسية الحقيقية، والرغبة الملحة والعزيمة الصادقة، يساهم فيها الجميع بنية وإخلاص صادقين، ثم العمل مباشرة تبعا لذلك، دون تسويف أو تأخير. وهذه تعتبر كمقدمة لتحقيق الشروط الأخرى.

2.3.3. العمل على القضاء على حالة الانقسام والتشتت في الأمة[32]:

أي أن تقضي الأمة الإسلامية على انقسامها وتفككها وتفرقها، وعلى مسببات ذلك، بأن تقوم بالفعل بتجميع شتاتها وتوحد نفسها في كيان واحد موحد قوي، أمام القوى العالمية، لأن في الإتحاد قوة، ولأننا نعيش عصر التكتلات والتجمعات الكبرى في عالم لا يقيم وزنا للكائنات المجهرية الضعيفة والمشيخات ودول العشائر والقبائل ولا يرحمها. فهناك ما 50 دولة إسلامية، بها أكثر من مليار ونصف نسمة، فإذا ما اتخذت هذه الدول مظهرا مشتركا، ووحدت صفوفها في كيان واحد موحد، بالإضافة إلى ما تملكه من مقومات القوة، أمكنها أن تثبت وجودها كقوة فعالة في العالم

3.3.3. القضاء على حالة التخلف والوهن:

بأن تقضي الأمة على التخلف ومظاهره وأسبابه في جميع صوره وأشكاله: الإقتصادي والسياسي والثقافي والعلمي والإجتماعي والأخلاقي... الخ.

لا بد للأمة أن تخرج من سجن التخلف هذا الذي وضعت نفسها فيه إلى ساحة التقدم

والنهضة، وأن تتطور وتنمو نموا حقيقيا في كل المجالات التي ذكرت، وذلك بأن تجند كل طاقاتها وإمكاناتها المادية والبشرية والفكرية التي أهدرت وعطلت، من أجل تنمية ونهضة حقيقية

شاملة للإنسان وللحياة، وذلك بأن تتخذ من الإسلام أكبر حافز ودافع لحشد هذه الطاقات والإمكانيات وتقويتها ودفع عجلتها إلى الأمام، بقوة مضاعفة. وعلى القوة الحية

---

[32]- القرضاوي يوسف، الحل الإسلامي، فريضة وضرورة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1974 ص 127

الموجهة في هذه الامة، المؤثرة في مسيرتها من العلماء وأصحاب الرأي السديد، أن تتعاون وتتكاتف فيما بينها للنهوض بالأمة في كل هذه المجالات، وتعويض كل ما فاتها على مر السنين، والقضاء على الفجوات والسنوات التي تباعدها وتفصلها عن العالم المتقدم، ومواجهة التحديات والصعاب والعراقيل بعزم وإيمان وإخلاص وتفان، معتمدة على تخطيط دقيق واستشراف مستقبل واع[33].

4.3.3. التخلص والتحرر من ضغط الو اقع وثقله:

هذا الواقع بمظاهره المادية ومؤسساته المختلفة: الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية والإعلامية...وغيرها، وما يسند ذلك من تيارات فكرية واتجاهات نفسية واجتماعية. ولا ريب أن أغلبها يعارض نظرة ووجهة الإسلام وشريعته، ولا يتماشى معها. ومن هذه المظاهر: انتشار الربا والإحتكار في المؤسسات الإقتصادية والمالية، وشيوع المحرمات في كل مكان، كالخمر اتجارا واستهلاكا، وترويج القمار والرشوة والخلاعة والزنا والعري، وعبث الأزياء الفاضحة وبث الصور الخليعة، والأغاني المثيرة، والأفلام المهيجة للغرائز في وسائل الإعلام المتنوعة. ومن المظاهر الضاغطة سيطرة القوانين والتشريعات المنافية للإسلام في مختلف مجالات الحياة في المجتمعات الإسلامية.

ويرتبط بهذا الواقع الضاغط التخلص والتحرر من التبعية للغرب، وإزالة مركب النقص تجاهه وتجاه فكره وحضارته، أو ما يسميه مالك بن نبي: "**القابلية للإستعمار**"، وما يسميه عبد الرحمن بن خلدون: "**المغلوب مولع بتقليد الغالب**"، لأن هذا الواقع الثقيل الذي يضغط على الأمة بمؤسساته ومنكراته ومحرماته المنتشرة، هو من صنع هذا الغرب يوم كان غالبا وكان المسلمون مغلوبين قابلين له. أما إذا زالت هذه العلبة وهذه القابلية، وقررت الأمة بحزم أن تغير ما بنفسها وتعود إلى أصلها وإلى ذاتها، بتطهير واقعها من آثار ومخلفات الإستعمار والغزو الغربي الفكرية والنفسية والسلوكية والعملية في حياتها كلها، هذا سيسهل عليها الأمر، حيث تكون قد حددت الهدف المنشود وعرفت الطريق الصحيح.

---

[33]- المرجع نفسه، ص 125

ولهذا لا بد من الإرتفاع بالواقع المعاش إلى أفق الإسلام، لا أن تهبط الأمة بالإسلام إلى حضيض الواقع. فليس الغرب هو أم العالم ومركزه، كما أوهمونا ورسخوه في عقولنا، وليس الرجل الابيض هو سيد العالم، وهو حامل الحضارة، وليس الفكر الغربي هو مصدر الإلهام والإبداع للجميع، وليست الحضارة الغربية هي المثل الأعلى للحضارات.

في المحصلة الأخيرة، الأمة الإسلامية ليست ملزمة ومجبرة بأن تحلل ما يحلله الغرب، وتحرم ما يحرمه، وتصحح ما يصححه، وتبطل ما يبطله...وهكذا، وخاصة وأن لها مشروع حضاري أحسن بكثير مما لدى الغرب.[34]

5.3.3. وجوب قيام القيادة المؤمنة الرشيدة:

بمعنى أن تختار الأمة لنفسها بحريتها وإرادتها، قيادة إسلامية واقعية، قيادة قادرة على توجيه المسلمين بما وهبها الله من قوى روحية ومعنوية ومادية، وليس عن طريق القهر والإكراه، قيادة تجتمع عليها قلوب المسلمين وتطمئن إليها وتثبلها، قيادة رشيدة وحكيمة وملتزمة بمبادئ الإسلام قولا وعملا، قيادة مسؤولة أمام الله وأمام الأمة كلها، قيادة عليمة حافظة، قيادة تملك القوة البدنية والعقلية والعلمية، قيادة تصر في ثقة وثبات وإيمان على الإلتزام بالإسلام كله بلا وجل ولا تردد، بل بعزة وإباء، قيادة يرى فيها الناس القدوة العملية لعدل الإسلام وصدقه وعزته وسماحته وإيجابيته.[35]

6.3.3. الأخذ بالمشروع الحضاري الإسلامي:

على الأمة أن تتمسك بالمشروع الحضاري أي الإسلام الصحيح، المشروع المتوازن والكامل، بأن تأخذ بالإسلام وتسير نظام حياتها كله وفقه، وذلك بعد معرفتها التامة وإيمانها بالهداية والخير

الذي جاء به، والذي سيحققه لها، ثم تجعل نصب عينيها تغليب ذلك في كل أمور حياتها، بالإضافة إلى التمسك بأخلاق وتعاليم الإسلام، حتى ينهزم أمامها دعاة الإنحلال والفساد.

---

[34]- القرضاوي يوسف، (د.ت.ن)، شريعة الإسلام، خلودها وصلاحها لكل زمان ومكان، مرجع سبق ذكره، ص 176

[35]- الغزالي محمد، مرجع سبق ذكره ، من ص 204 إلى 213

لا بد من الرجوع إلى الإسلام الصحيح كما نزل من عند الله، وكما جاء به)عليه الصلاة والسلام)، وكما فهمه وطبقه الصحابة (رضي الله عليهم) والذين اتبعوهم بإحسان، بعيدا عن تزمت المتزمتين، وغلو الغالين، وتقصير المقصرين، وتعصب المتعصبين. يجب أن يؤخذ الإسلام كله لمواجهة كل مشكلات الحياة، وذلك لأنه حل متكامل متماسك الأجزاء، وبذلك تنتفع الأمة فعلا بنتائجه الطيبة في حياتها كلها.[36]

باختصار وكما قيل آنفا، على الأمة أن تغير ما بها إلى الأحسن والأفضل، وهو موجود في دينها، فيغير الله حالها، تبعا لقانون التغيير الإلهي الذي لا يتبدل ولا يزول "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأ نفسهم**" (الرعد، الأية 11) .[37]

إذا حصل هذا، فإن وعد الله سيتحقق، لأن الله لا يخلف الميعاد، وذلك بتغيير حال الأمة لإسلامية وعودة مكانتها الحضارية، كما كانت لأسلافها، مصداقا لقوله تعالى: "**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**"(النور، الأية 55)، **وقوله: "ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**" (الحج، الأية 40). صدق الله العظيم.

خاتمة:

تم في هذه الدراسة تناول نظرية المفكر مالك بن نبي حول دور عامل التغيير النفسي في عملية البناء الحضاري، وتبين لأن مالك بن نبي يرى أن ظاهرة التغيير والتحول في التاريخ والإنتقال من الإنحطاط إلى الحضارة، تعود إلى تغيير النفس بدافع من الفكرة الدينية، وأن التغيير الذي يمس

---

[36]- أنظر حول المشروع الحضاري الإسلامي في كتاب: الدريني فتحي، **خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم**، مؤسسة الرسالة، بيروت 1987.

[37]- بن نبي، مالك، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره،، ص ص 84، 85

الفرد ويمس المجتمع، هو أساس عملية البناء الحضاري، بل هو شرط لذلك [38].

كما تبين أن مالك بن نبي يرى أن الدين (**الفكرة الدينية**)، أو مركب الحضارة كما يسميها هو الذي يدفع لهذا التغيير، فالدين كما يقول هو: "**التعبير التاريخي والإجتماعي للتجارب المتكررة عبر الزمن، وهو أساس التغيرات والتحولات الإنسانية الكبرى في العالم، لأنه هو الذي يحدد الهدف، ويعطي الدفعة والشحنة العملية لانطلاق مسيرة الحضارة في ركب التاريخ، إذ يخلق في قلوب الأفراد غاية معينة، تمنح الوعي بهدف معين في الحياة، تصبح معه هذه الحياة ذات دلالة وذات قيمة ومعنى ومغزى**"[39].

إن **الفكرة الدينية**، عند مالك بن نبي، وهي **الإسلام** هنا، هي **عامل التغيير النفسي** الأساسي ولها دور كبير في عملية **البناء الحضاري**، وهذا هو مكمن السر وراء تلك الحضارة الراقية التي بنى صرحها لمسلمون الأوائل، يشهد بعظمتها الأعداء قبل الأصدقاء.

وبعد ذلك تم إسقاط هذا العامل، أي **عامل التغيير النفسي** على واقع المسمين اليوم وفي المستقبل أيضا. فتبين أنه قد حدث تغير نسبي للأحسن والأفضل، في حياة المسلمين بفعل **الصحوة الإسلامية** في السنوات الاخيرة، بعد عصور ودهور من الإنحطاط والركود والتخلف الحضاري والتبعية العمياء للآخرين. غير أن هذه **الصحوة** تجابهها عقبات وعراقيل كبيرة. ولكن هذه **العقبات والعراقيل** ليست قدرا محتوما مكتوبا على الأمة الإسلامية أن تخضع لها وتستكين، بل يمكن تجاوزها والتغلب عليها بتحقيق **شروط** معينة، من طرف هذه الأمة، ذكرت في هذه الدراسة، شروط تؤدي إلى حدوث تغيير جذري في أوضاع المسلمين وأحوالهم القائمة، وإلى الإقلاع الحضاري المنشود، واستعادة الأمة لمكانتها الحضارية الطبيعية التي كانت لها من قبل، بل وقيادتها للبشرية كلها، وما ذلك على الله بعزيز.

---

[38]- العبدة محمد، مرجع سبق ذكره،، ص 26

[39]- بن نبي مالك، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص 76

مراجع الدراسة:

- بن نبي (مالك)، **إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث**، مكتبة عمار، القاهرة، 1970.

- -------- ، **بين الرشاد والتيه**، دار الفكر، دمشق، 1986.

- ------، **تأملات**، دار الفكر، بيروت، 1986

- --------، **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين**، دار الفكر، دمشق، 1978

- --------، **شروط النهضة**، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط3 ، دار الفكر، بيروت، 1983.

- --------، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، دار الفكر، دمشق، 1979.

- --------، **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1981

- --------، في **مهب المعركة**، دار الفكر، دمشق، 1978.

- --------، **مذكرات شاهد القرن**، دار الفكر، طرابلس، لبنان، 1983.

- --------، **المسلم في عالم الإقتصاد**، دار الفكر، دمشق، 1986.

- --------، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة محمد عبد العظيم علي، دار الحكمة للنشر والتوزيع، تونس، 1985.

- --------، **ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الإجتماعية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1974.

- --------، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1981 .

- البهي (محمد)، **الدين والحضارة الإنسانية**، دار الفكر، القاهرة، 1985.

- --------، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1985.

- بوبكر (جيلالي)، **إستراتيجية البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار قرطبة للنشر، والتوزيع، الجزائر 2011.

.

- البوطي (محمد سعيد رمضان)، **منهج الحضارة الانسانية في القرآن**، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1983.

- الجندي (أنور)، **سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية**، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (د. ت. ن).

- الدريني (فتحي)، **خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم**، مؤسسة الرسالة، بيروت 1987.

- الدسوقي (فاروق)، **مقومات المجتمع المسلم**، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986.

- العبدة (محمد)، **مالك بن نبي، مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي**، دار الفرقان، الجزائر، 2002.

- الغزالي (محمد)، **الإسلام والطاقات المعطلة**، نشر الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة، 1987.

- القرضاوي (يوسف)، **الإسلام حضارة الغد**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995.

- ----------، **الإيمان والحياة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979.

- ----------، **الحل الإسلامي، فريضة وضرورة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1974.

- ----------، **الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977.

- ----------، **شريعة الإسلام، خلودها وصلاحها لكل زمان ومكان**، دار الشهاب، باتنة، 1988.

- ----------، **المبشرات بانتصار الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977.

- قطب (سيد)، **العدالة الإجتماعية في الإسلام**، الإتحاد العالمي للمنظمات الطلابية(د.ت.ن).

- -------، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط 1، بيروت، 1986.

- قطب (محمد)، **شبهات حول الإسلام**، الإتحاد العالمي للمنظمات الطلابية،(د.ت. ن).

- مجدان (محمد)، **مكانة الحضارة الإسلامية عالميا، دراسة مقارنة ومستقبلية**، دار المواهب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1915.